خطبة جمعة مفرغة

بعنوان

الإتحاف بعظمة الإنصاف

لفضيلة الشيخ

يحيى بن علي الحجوري

حفظه الله

الجمعة 29 شوال 1444هجرية

مسجد إبراهيم شحوح سيئون

فرغها : أبو عبد الله زياد المليكي

غفر الله له ولوالديه

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد:فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أيها الناس : أخرج الترمذي في جامعه، من حديث الحارث الأشعري رضي عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إنّ اللّهَ أمرَ يحيى بنَ زَكريّا بخمسِ كلماتٍ أن يعملَ بِهن، ويأمرَ بني إسرائيل أن يعمَلوا بِهن ، وإنّهُ كادَ أن يُبْطِئَ بِها فقال عيسى: إنّ اللّهَ أمَرَكَ بخَمسِ كلماتٍ؛ لِتَعمَلَ بها وتأمُرَ بَني إسرائيلَ أن يَعمَلوا بها، فإمّا أن تأمُرَهم، وإمّا أنْ آمُرَهم، فقال يحيى: أخشى إن سبَقتَني بها أن يُخسَفَ بي أو أُعذّبَ، فجمَع النّاسَ في بيتِ المقدِسِ، فامتَلأَ المسجدُ وقعَدوا على الشُّرُفِ، أي على شرف المسجد لامتلأه ، فقال: "إنّ اللّهَ أمَرني بخَمسِ كلماتٍ أن أعمَلَ بِهنّ، وآمرُكم أن تعمَلوا بهنّ: أوّلُهنّ أن تعبُدوا اللّهَ ولا تُشرِكوا به شيئًا، وإنّ مَثلَ مَن أشرَكَ باللهِ كمثَلِ رجلٍ اشترى عبدًا مِن خالصِ مالِه بذهَبٍ أو ورِقٍ، فقال: هذه داري وهذا عمَلي، فاعمَلْ وأدِّ إليّ، فكان يعمَلُ

ويُؤدّي إلى غيرِ سيّدِه، فأيُكم يَرضى أن يكونَ عبدُه كذلك؟

هذا الحديث العظيم له تتمة شاهد منه هذا أنه ليس من الإنصاف أن يخلق الله العبد من عدم وأن يعده ويمده، وأن يسبغ عليه نعمه، وأن يخلقه في أحسن تقويم، وأن يكرمه ويجعل له المال والولد، ويجعله يرأس يربى، إلى غير ذلك مما أكرم الله به عبده ثم يصرف عبادة الله سبحانه وتعالى لغيره، هذا لؤم وليس هو من الإنصاف.

إن الإنصاف مع رب العالمين هو عبادته، الله سبحانه وتعالى خلق العباد لعبادته فمن صرف شيئاً من العبادة لغير الله فقد عدل بالله غيره، وصار ليس منصفا، بل صار جائرا، وصار ظالما إن الشرك لظلم عظيم.

وإن من الإنصاف لهو متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره وحبه وتعظيمه وتصديقه فيما أخبر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أتى إلى الأمة وهي أمة ظالمة جائرة في ظلال مبين، يأكل من الميتات ويأتون الفواحش ويقطعون السبيل وهم في جاهلية جهلا، فأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور، :{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (2)}[الجمعة:2].

فمن أين أتتك هذه التزكية، ومن أين أتاك هذا الكتاب، ومن أين أتت هذه السنة الحكمة، ومن أين خرجت من الظلمات إلى النور ظلمات الجهل والشرك، وظلمات الجهنمية إلى نور الهدى والجنة، كيف خرجت؟ إلا بتوفيق الله سبحانه وتعالى، وببعثة هذا الرسول الكريم، فهي منة من الله سبحانه وتعالى:{لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (164)}[آل عمران:164].

منة، :{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا

عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157)}[الأعراف:157].

فلا يفلح إلا من شكر هذا المعروف، لا يفلح إلا من انصف هذا النبي الكريم، انصفه وعرف ما منّ الله سبحانه وتعالى عليه ببعثته،{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (128) فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (129)}[التوبة:128،129]

ومن أجل الإنصاف انصافك أيها المسلم لنفسك، فإن من لا ينصف نفسه هو أجدر ألا ينصف غيره، فاقد الشيء لا يعطيه، كما ذكر ابن القيم رحمه الله.

ولهذا قال الله سبحانه وتعالى:{وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (22)} إلى قوله:{ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23)انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24)} فقال الله عز وجل {كذبوا على أنفسهم} إن من إنصاف نفسك أن لا تكذب عليها، أن لا تغالط نفسك ولا تكذب عليها بالباطل، بل إنصافك وعدلك مع نفسك هو مما تتروض به على العدل مع غيرك، والكذب عليها والمخادعة لها، الكذب عليها وتدنيسها، كل ذلك من الإساءة إلى النفس، قال الله سبحانه وتعالى :{وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14)اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15)}[البقرة:14،15].

وقال :{يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9)}[البقرة:9].

فاصدق نفسك أيها العبد لا تخادعها، الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، مخادعاتك للحق مخادعاتك لأهله، هي في الحقيقة مخادعة لنفسك، ظلمك هو في الحقيقة ظلم لنفسك، انصفها لا تظلمها:{وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (57)}[البقرة:57].

وفي الحديث القدسي عند مسلم عن أبي رضي الله عنه، قال الله عز وجل:"يا عِبَادِي، إنّما هي أعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمّ أُوَفّيكُمْ إيّاهَا، فمَن وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللّهَ، وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنّ إلّا نَفْسَهُ.

فإذا انصف نفسك، إنك إذا أنصفت نفسك بطاعة الله وأكرمتها بطاعة الله وجنبتها المذلات والمساءات هذا هو إنصافها، هذا هو استفادته عدم خسارته، وإلا فإن كل عمل سيء تظن على أنه إساءة لغيرك أنت تظنه أنه ليس إساءة لنفسك هو إساءة لنفسك،{إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا }[الإسراء:7].

قال الله سبحانه وتعالى من ضمن الإساءة إلى الأنفس وعدم إنصافها:{نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (19)} [الحشر:19].

قال : { قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (10)}[الشمس:9،10].

فمن دنس نفسه وأخفاها وأعماها وضيعها هذه أساء إليها، زكي نفسك وأنصفها، وإنصافك لنفسك فيما بينك وبين ربك، وبينك وبين نبيك، وبينك وبين الناس، إنصافك لنفسك، هذا بداية الإنصاف لجميع من أمرك الله بالإنصاف معه، وإنك إن تقرأ مثل هذه الآية:{انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24)}

فالذين غالطوا أنفسهم في هذه الدنيا وما صدقوها ما صدقوها في الآخرة

أيها الناس : إن أمر الإنصاف أمر عزيز، الإنصاف مع النفس هو حتى أنه لو قامت شهادة لشهيد عليها، قال الله عز وجل :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (135)} [النساء:135].

هذا هو الانصاف من النفس إنصافها والإنصاف منها، قال الله سبحانه:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (8)}[المائدة:8].

فهذا هو، إياك أن يحملك عداوة عدو أن تهين نفسك بعدم الإنصاف، إن عدم الإنصاف مذلة لك، عدم الإنصاف إهانة لنفسك، الإنصاف قوة، الإنصاف إيمان، ثبت عن عمار رضي الله عنه أنه قال: ثلاث من الإيمان، الإنصاف من نفسك، إنصاف من نفسك فضلا عن غيرك، والإنفاق من الإقتار، وبذل السلام للعالم، هذا إيمان، من الإيمان أن تنصف حتى من نفسك، أن تكرم نفسك بالإنصاف بالعدل بالحق، والله ما أكرم الله عبداً بمثل ما أكرمه بالحق من كتاب الله، وسنة رسول الله، وتوحيد الله، واتباع سنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وأيضا ملازمة الحق مع نفسه وغيره، في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" فمن أحب أن يلقى الله غداً مؤمنا قال وليأتي إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه.

هذا هو الإنصاف، أنك تتعامل مع الناس كما تحب أن يتعامل معك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الذي استأذنه في الزنا الشاب، استأذن قال أتحبه لأمك، تحبه لابنتك، تحبه لأختك، تحبه لعمتك،

تحبه لخالته؟ فيقول : لا يا رسول الله فداك أبي وأمي، يقول : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، ولا الناس يحبونه لبناتهم، والناس يحبونه لخواتهم، ولا لعماتهم ولا لخالتهم، فكما أنك لا تحب الشر لك الضر لك الإساءة إليك وإلى أهلك ومحارمك وذويك وهكذا الناس، عاملهم بهذا لا تأذي ناس في أهاليهم في أولادهم في أنفسهم هذا هو الإنصاف، ولهذا قال الله عز وجل:{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64)}[آل عمران:64].

هذا هو الإنصاف، تعالوا إلى كلمة سواء كلمة سواء بيننا وبينكم، وهي توحيد الله، إقامة دين الله، هذا هو الإنصاف، النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر صارت الأرض للمسلمين، ولكن لا يستطيع أن يزرعها أصحابه، فقال : اليهود نزرعه يا محمد ولنا نصف ثمرتها أي الغلة ولكم نصف، لنا نصف مقابل عملهم فرضي النبي صلى الله عليه وسلم وعاملهم على نصف وشطر ما يخرج من خيبر، وصاروا يزرعون كل يزرع مزرعته ويؤدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم نصف الغلة من النخيل من الثمر، وهم ليسوا أمناء، فكان يبعث إليهم عبد الله بن رواحة يحزر عليهم يحزر فيقول : هذه غلت هذه كذا، وهذه كذا، وهذه كذا، قالوا : أكثرت علينا يا ابن رواحة أكثرت علينا، اليهود يقولوا: أكثرت علينا، أي أن هذه المزرعة ما تأتي بهذه الغلة حتى نؤدي نصفها إليكم، قال: أنا ألي جذاذها وأعطيكم النصف، أنا ألي جذاذها إن كنتم ترون أني أكثرت عليكم فأنا أتولى جذاذها وخذوا النص حقكم، قالوا: هذا الحق الذي قامت به السماوات والأرض رضينا، اليهود أذعنوا للحق أفحمهم، الحق قوة، الإنصاف قوة، فأكرم نفسك بالإنصاف أيها المسلم وتحلى به، ولهذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين

بأنهم لا ينصفون، ويظن أنه يحسن صنعا، قال : إذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر وإذا، هكذا كل أموره على غير الإنصاف فصارت مذمة دائمة أبدية على المنافقين عدم عنايتهم بالانصاف، عدم عنايتهم.

إن المنصف يظله الله في ظله، لو لم يكن من الإنصاف إلا أن صاحب الإنصاف يظله الله في ظله "سبعة يظلهم الله ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، كل هذه السبعة من الإنصاف، ومنهم الإمام العادل، والشاب الذي عدل ونشأ في عبادة الله كما خلقه الله لعبادته، ورجل قلبه معلق بالمساجد، إلى آخره، فهذا الإنصاف كان من أسباب من ثماره ظل عرش الله، وفي حديث عبد الله بن عمرو في الصحيح"

إنّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللّهِ علَى مَنابِرَ مِن نُورٍ، عن يَمِينِ الرّحْمَنِ عزّ وجلّ -وكِلْتا يَدَيْهِ يَمِينٌ- الّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِمْ وما وَلُوا.

لا إله إلا الله، هذا شأن المنصفين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا، كل شيء تولاه يكون فيه على الإنصاف، انظر أين موقف يوم القيامة على منابر من نور، مغبوطون عن يمين الرحمن يوم القيامة، حرم الله الرشوة لأنها تعارض الإنصاف،:{وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (188)}[البقرة:188].

فالرشوة محرمة ما العلة في تحريمها؟ العلة أنك إذا أعطيت هذا القاضي هذا الوالي هذا المسؤول مالاً أدى به إلى التراخي عن الإنصاف، والبعد عن الإنصاف، فحرم الله ذلك لذريعة البعد عن الإنصاف وعدم إقامة الحقوق لأهلها، حرم الله الشهادة شهادة الزور لأنها إبعاد عن الإنصاف وحرمان من الإنصاف، حرم الله الكتمان لأنه يؤدي إلى عدم إنصاف المظلوم وإنصاف للحق،:{وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ}[البقرة:283].

وفي الحديث الثابت عن بريدة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"القضاة ثلاثةٌ قاضيانِ في النارِ وقاضٍ في الجنةِ فأما الذي في الجنةِ فرجلٌ عرفَ الحقّ فقضَى بهِ فهو فِي الجنةِ ورجلٌ عرفَ الحقَ فلم يقضِ به. تعمد مخالفة الحق والبعد عن الإنصاف إما لشبهة، إما لشهوة، إما لرشوة، إما لعصبية، نعم والآخر جهل الحق فقضى بغيره وهذا أيضا من عدم الإنصاف أنه يلي القضاء وهو جاهل فهذا في النار، والقاضي في الجنة عرف الحق وقضى به، من إنصافه أن يتعلم الحق حتى يقضي حتى يفهم، ثم إذا علم أيضا أقامه، كونوا قوامين لله بالقسط، أقامه وقضى به هذا الذي في الجنة، واثنان في النار، وقال الله سبحانه وتعالى:{إِنّا أَنزَلنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ ۚ} أراك الله حكم إيمان ما أراه الله وعلمه، {وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (105)}[النساء:105].

هذا هو الإنصاف أن لا تكن للخائن مجادلاً عنه مخاصما عنه، قريب أو بعيد، :{يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (111)}[النحل:111]

هذا الإنصاف ،لا تهلك نفسك، مهانة والله مهانة أن تجانب الإنصاف في كل شيء، إلا وتجد فيه الذلة، وتجد فيه الصغار، وتجد فيه الهزيمة، وتجد فيه الضعف، وتجد فيه كذلك ضعف الإيمان، وكل مساوئ لمخالفة الإنصاف.

حتى مع زوجتك في الحديث الثابت عن أبي هريرة عند ابن الجارود وغيره في السنن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:" مَنْ كانتْ له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يومَ القيامةِ وشِقُّه مائلٌ.

أمام الناس أن عدم إنصافه عدم عدله أنه مائل جانب:{فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ المَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالمُعَلَّقَةِ ۚ}[النساء:129].

ولهذا إن لم يكن عندك إنصاف ولم يكن لك قدرة عليه اترك التعدد

حتى لا تهلك،:{فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً } لماذا ؟ إن خفت أنك ربما تأتي يوم القيامة وشقك مائل واحدة، السلامة لا يعدلها شيء، إلا إن علمت قوة إيمان حزم وثبات أنك تعدل هنا يجوز لك، حرم الزواج باليتيمة التي قد يعجبه مالها وجمالها ولا يقسط لها ما عندها في حجره له،:{إن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى} الآية، اليتيمة قالت عائشة تكون في حجره فلا يعطيها صداقها ويتزوجها على غير صداق النساء لأنها يتيمة في حجره أعجبه مالها وجمالها وتزوجها، فلا يجوز له ذلك إلا أن يقسط لها مهر النساء حتى يخرج من الظلم، حرم الله الشغار لأنه ظلم للمرأة أن يكون بضع هذه مهر هذه فتطلع المرأة بغير مهر، النساء يتزوجن بمهور وهي تطلع مهرها مقابل زواج وليها، أو بضعها مقابل زواج ولي الأخرى، هذا كله حرمه الله لأنه ليس فيه قسط ليس فيه عدل، ليس فيه قسط، فلما أبان الله سبحانه وتعالى رفع السماوات وبسط أرضه قال:{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (38) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (39)}[الدخان:38،39].

فهذا صادر عن جهل، جهل الإنسان بعظمة الحق، الحق له عظمة، الإنصاف له عظمة، إنصاف من نفسك، إنصاف فيما بينك وبين ربك، بينك وبين نبيك، إنصاف في حياتك كلها، ما تخسر نفسك:{قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (15)}[الزمر:15].

ما السبب؟ خسروا أنفسهم لأنهم كذبوا على أنفسهم خسروها، هذه الأمة المحمدية صُلحاؤها شرفها الله عز وجل بالانصاف، ما السبب أن هذه الأمة من أفضل الأمم:{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} السبب العدل،{تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ} تقيمون الدين، ما كان معروف يأمرون به

{وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ} قال :{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} والوسط هنا العدل والخيار، ما السبب ؟ قال :{لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} فشرفها الله، ميزها الله، أكرمها الله بالانصاف، ويأتي قوم نوح بعد ألف سنة إلا خمسين عاما وهو يدعهم سرا ليلا ونهارا بشتى وسائل الدعوة، ثم يجحفونه أنه ما جاءهم من نذير، يأتي نوح وقومه هل بلغكم؟ قالوا: ما بلغنا ما جاءنا من نذير، انظر على كذبة بعد تسعمائة وخمسين سنة ،ألف سنة إلا خمسين عاما وهو لابث فيهم يدعوهم ويجحفون دعوته كلها ،تقوم هذه الأمة العدل الخيار المنصفة الأمة المنصفة يشهدون أن نوحا بلغ، بأي شيء بالحق، دل كتاب الله أنه بلغ، ولهذا صارت عدلا خيارا شرفها الله سبحانه وتعالى،{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ }

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:

إنّ اللّعّانِينَ لا يَكونُونَ شُهَداءَ، ولا شُفَعاءَ يَومَ القِيامَةِ.

فالذي ما ينصف لعان سباب شتام جائر باغي، فربما يبعد نفسه، حتى يوم القيامة عن أن يكون شهيدا ما هو عدل، أمة عادلة أمة منصفة ممكنة يسودها الأمن والإيمان، يسدوها الفضل والإحسان، أمة ممكنة يسدوها الإخاء والتعاون، أمة تشعر بالعزة وبتقديس شرع الله وتعظيم ربها لها، عظمها الله، أمة بالانصاف الذي من أكرمه الله عز وجل به أكرمه بعظيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ومصطفاه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الهداة، أما بعد أيها الناس: كثير من المحارم من المحرمات والمنهيات مذمومة لحصول عدم الإنصاف فيها، النبي صلى الله عليه وسلم حين سرقة تلك المرأة المخزومية قالوا من يشفع فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما يحبون أن تقطع يد المرأة المخزومية، فقالوا حبه أسامة بن زيد، النبي صلى الله عليه وسلم يحب أسامة، قالوا إذا أتوا بهذا المحبوب إليه يشفع، لأن شفاعة المحبوب أقرب إلى القبول، فلما شفع عنده قال : أتشفع يا أسامة في حد من حدود الله؟ والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يديها، يقسم النبي صلى الله عليه وسلم أن فاطمة ابنته سيدة نساء العالمين سرقت لقطع يدها، إنما هلك من كان قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، أمة ما أنصفت، فلهذا هلكوا، فالنبي صلى الله عليه وسلم أقام الإنصاف في الأمة حتى لا تهلك، عدم الإنصاف هلكت الأمم، سببه هلكت الأمم، فهنيئا لمن زكى نفسه بالانصاف والله، أكرم نفسه، ميزها، روضها وعودها على الإنصاف حتى مع ولده، ففي الصحيحين من حديث النعمان رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:" اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم.

أتى بشير رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يشهده على أنه أعطى أحد أبناءه وهو النعمان أعطاه نحلة دون بقية إخوانه، بسبب أن امرأته بنت رواحة طلبت منه ذلك فميزه على إخوانه ويريد أن يشهد النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، قال : هل نحلت إخوانه كذلك؟ قال : لا، قال : لا تشهدني على جور، اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم، فأمر بالعدل، العدل بين الأولاد إنصاف ما يكون

له عليك حجة، إنصاف، فإذا حصل عدم الإنصاف حصل أن الإنسان تضعف حجته، أمام القريب والبعيد وأمام المحكمة وأمام القاضي والقاضي بين يدي ربه والناس جميعا، من تخلى عن الإنصاف هُزم، من تخلى عن الإنصاف ظلم، من تخلى عن الإنصاف ذل، هذا الذي يعايشه المجتمع إلا من رحم الله، عدم الإنصاف، شدة الاجحاف، عدم الإنصاف، عدم إقامة الحق لذويه، الحدود من الإنصاف، هذا يقتل يُقتل، هذه هي الحياة، ولم لم يقم هذا الإنصاف سادة الفوضى، التعزيرات من الإنصاف ولا لم يقم الإنصاف سادة الفوضى وانتهكت الأعراض، ولهذا شرع في الشرع على أن قاذف المحصنة يجلد ثمانين جلدة حتى لا يطلق لسانه بعدم الإنصاف على الناس، فيضرب هذا بكلام، ويضرب هذا بكلام، ويتهم هذا، ويقول في هذا بغير بينة ولا برهان، :{إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (23)}[النور:23].

قال:{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (4)} [النور:4].

عود نفسك الإنصاف قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم، :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)} [الأحزاب:70،71].

تظمنت هذه الآية الإنصاف في القول، وفي الفعل، وفي سائر الشؤون هذا هو أسباب صلاح الأعمال والأحوال، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، نسأل الله التوفيق، وأن يمن علينا بالانصاف والإخلاص له، والتجرد من الهوى، فإن الهوى من أسباب البعد عن الإنصاف، قال الله عز وجل:{يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ

فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[ص:26].

والعصبية المقيتة، والحزبية المقيتة من أسباب البعد عن الإنصاف، تعرف قصة ابن سلول لما كان في تبوك وحصل أن رجلا من الأنصار اختلف مع رجل من المهاجرين اختلافا لطم أحدهم وكسع أحدهم الآخر فقال ذلك العصبي ذلك المنافق، ثارت فيه العصبية الجاهلية وعدم الإنصاف، ثارت فيه الحمية والعنصرية، قال : لئن رجعنا إلى المدينة لنخرجن الأعز منها الأذل، ويرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الصحابة بأنهم أذلة، كلام خطير ، وقال أيضا: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، لا تنفقوا ومعناه على أنما الرزق جاء من طريقه هو وأصحابه، ولو ما أنفقوا على من عند النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الصفة ومن أهل طلاب دين الله وما كان من ذلك حتى ينفضوا، فكل هذا ثورة العصبية بعدم الإنصاف، ومعرفة الحق لأهله، ومعرفة دين الحق، ومعرفة الهدى، عمى البصر :{فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)}[الحج:46].

والحمد لله رب العالمين.